

وتنجوا من حكمي فافعلوا فإنكم لاتقدرون على ذلك كما قال تعالى : ﴿يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لاتنفذون إلا بسلطان﴾ وقد قال تعالى : ﴿ولاتضرونه شيئاً﴾ وفي الحديث : «ياعبادي إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفَعوني ولن تبلغوا ضري فتضروني» .

وقد قال ابن أبي حاتم : ثنا علي بن المنذر الطريفي الأودي ، ثنا محمد بن فضيل ، ثنا حصين بن عبد الرحمن عن حسان بن أبي المخارق ، عن أبي عبد الله الجدلي قال : أتيت بيت المقدس فإذا عبادة بن الصامت وعبد الله بن عمرو وكعب الأحبار يتحدثون في بيت المقدس فقال عبادة : إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ينظفهم ويسمعهم الداعي ، ويقول الله : ﴿هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين * فإن كان لكم كيد فكيدون﴾ اليوم لا ينجو مني جبار عنيد ، ولا شيطان مريد ، فقال عبد الله بن عمرو : فإننا نحدث يومئذ أنها تخرج عنق من النار فتنتطق ، حتى إذا كانت بين ظهري الناس نادى : أيها الناس إني بعثت إلى ثلاثة أنا أعرف بهم من الأب بولده ومن الأخ بأخيه لا يفهم عني وزر ولا يفهم عني خافية ، الذي جعل مع الله لها آخر ، وكل جبار عنيد ، وكل شيطان مريد ، فتطوي عليهم فتقذف بهم في النار قبل الحساب بأربعين سنة .

إِنَّا أَنْمَقِينَ فِي ظُلُلٍ وَعَيُونٍ ﴿١١﴾ وَفَوَازِكُمْ مِمَّا بَشَرْتَهُمْ ﴿١٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كَفَرْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيَلُومُنَّ يَوْمَئِذٍ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ جَرْمُونَ ﴿١٦﴾ وَيَلُومُنَّ يَوْمَئِذٍ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿١٨﴾ وَيَلُومُنَّ يَوْمَئِذٍ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾

يقول تعالى مخبراً عن عباده المتقين الذين عيدهوه بأداء الواجبات ، وترك المحرمات ، إنهم يوم القيامة يكونون في جنات وعيون أي بخلاف ما أولئك الأشقياء فيه من ظل اليعقوم وهو الدخان الأسود الممتن ، وقوله تعالى : ﴿وفواكه مما يشتهون﴾ أي ومن سائر أنواع الثمار كلها طلبوا وجدوا ﴿كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون﴾ أي يقال لهم ذلك على سبيل الإحسان إليهم ثم قال تعالى مخبراً خيراً مستأنفاً : ﴿إننا كذلك نجزي المحسنين﴾ أي هذا جزاؤنا لمن أحسن العمل ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ . وقوله تعالى : ﴿كلوا وتمتعوا قليلاً إنكم مجرمون﴾ خطاب للمكذبين بيوم الدين وأمرهم أمر تهديد ووعيد فقال تعالى : ﴿كلوا وتمتعوا قليلاً﴾ أي مدة قليلة قريبة قصيرة ﴿إنكم مجرمون﴾ أي ثم تساقون إلى نار جهنم التي تقدم ذكرها ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ كما قال تعالى ﴿تمتعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ﴾ : وقال تعالى : ﴿إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون * متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون﴾ وقوله تعالى : ﴿وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون﴾ أي إذا أمر هؤلاء الجهلة من الكفار أن يكونوا من المصلين مع الجماعة امتنعوا من ذلك واستكبروا عنه ، ولهذا قال تعالى : ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ ثم قال تعالى : ﴿فبأي حديث بعده يؤمنون ؟﴾ .

قال ابن أبي حاتم : ثنا ابن أبي عمير ثنا سفيان عن إساعيل بن أمية : سمعت رجلاً أعرابياً بدأ يقول : سمعت أبا هريرة يرويه إذا قرأ والمرسلات عرفاً - فقرأ - فبأي حديث بعده يؤمنون ؟ فليقل أمنت بالله وبما أنزل . وقد تقدم هذا الحديث في سورة القيامة . آخر تفسير سورة المرسلات ، والله الحمد والمنة ، وبه التوفيق والعصمة .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُوَ فِيهِ مُخْلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سِعَامُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا سِعَامُونَ ﴿٥﴾ لَنَجْجَعِلَّ لِلْأَرْضِ مَهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالِ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ جَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا ﴿١٠﴾ جَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ بَنَيْنَا

فَوَكَّمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنْ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَمَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلْنَا

أَلْفَاظًا ﴿١٦﴾

يقول تعالى منكرًا على المشركين في تساؤلهم عن يوم القيامة إنكاراً لوقوعها ﴿عم يتساءلون عن النبأ العظيم﴾ أي عن أي شيء يتساءلون عن أمر القيامة وهو النبأ العظيم ، يعني الخبر الهائل المقطع الباهر ، قال قتادة وابن زيد : النبأ العظيم البعث بعد الموت وقال مجاهد : هو القرآن . والأظهر الأول لقوله ﴿الذي هم فيه مختلفون﴾ يعني الناس فيه على قولين مؤمن به وكافر ، ثم قال تعالى موعداً لمنكري القيامة ﴿كلا سيعلمون﴾ ثم كلا سيعلمون ﴿ وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد . ثم شرع تبارك وتعالى بين قدرته العظيمة على خلق الأشياء الغريبة والأمور العجيبة الدالة على قدرته على ما يشاء من أمر المعاد وغيره فقال ﴿ألم نجعل الأرض مهاداً﴾ أي مهيأة للخلائق ذلولاً لهم قارة ساكنة ثابتة ﴿والجبال أوتاداً﴾ أي جعلها لها أوتاداً أرساها بها وثبتها وقررها حتى سكنت ولم تضطرب بمن عليها . ثم قال تعالى : ﴿وخلقناكم أزواجاً﴾ يعني ذكراً وأنثى يتمتع كل منهما بالآخر ويحصل التناسل بذلك كقوله ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ وقوله تعالى : ﴿وجعلنا نومكم سباتاً﴾ أي قطعاً للحركة لتحصل الراحة من كثرة الترداد والسعي في المعاش في عرض النهار وقد تقدم مثل هذه الآية في سورة الفرقان ﴿وجعلنا الليل لباساً﴾ أي يغشى الناس ظلامه وسواده كما قال ﴿والليل إذا يغشاها﴾ وقال الشاعر :

فلما لبسن الليل أوحين نصبت له من حذا آذانا وهو جانح

وقال قتادة في قوله تعالى : ﴿وجعلنا الليل لباساً﴾ أي سكتاً ، وقوله تعالى : ﴿وجعلنا النهار معاشاً﴾ أي جعلناه مشرقاً نيراً مضيئاً ليتمكن الناس من التصرف فيه والذهاب والمجيء للمعاش والتكسب والتجارات وغير ذلك . وقوله تعالى : ﴿وبيننا فوقكم سبعاً شداداً﴾ يعني السموات السبع في اتساعها وارتفاعها وإحكامها وإتقانها وتزيينها بالكواكب الثوابت والسيارات ولهذا قال تعالى : ﴿وجعلنا سراجاً وهاجاً﴾ يعني الشمس المنيرة على جميع العالم التي يتوهج ضوءها لأهل الأرض كلهم . وقوله تعالى : ﴿وأنزّلنا من المعصرات ماء ثجاجاً﴾ قال العوفي عن ابن عباس : المعصرات الرياح ، وقال ابن أبي حاتم : ثنا أبو سعيد ثنا أبو داود الحفري عن سفیان عن الأعمش عن المهال عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس ﴿وأنزّلنا من المعصرات﴾ قال : الرياح ، وكذا قال عكرمة ومجاهد وقتادة ومقاتل والكلبي وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن أنها الرياح ، ومعنى هذا القول أنها تستدر المطر من السحاب ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس من المعصرات أي من السحاب ، وكذا قال عكرمة أيضاً وأبو العالية والضحاك والحسن والربيع بن أنس والثوري واختاره ابن جرير ، وقال الفراء هي السحاب التي تتحلب بالمطر ولم تطر بعد ، كما يقال امرأة معصر إذا دنا حياضها ولم تحض . وعن الحسن وقتادة من المعصرات يعني السموات وهذا قول غريب ، والأظهر أن المراد بالمعصرات السحاب كما قال تعالى : ﴿الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيسطه في الساء كيف يشاء ويجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله﴾ أي من بينه . فوله جل وعلا ﴿ماء ثجاجاً﴾ قال مجاهد وقتادة والربيع بن أنس : ثجاجاً منصّباً وقال الثوري : متتابعاً وقال ابن زيد : كثيراً ، قال ابن جرير ولا يعرف في كلام العرب في صفة الكثرة الثج وإنما الثج الصب المتتابع ومنه قول النبي ﷺ «أفضل الحج العج والثج» يعني صب دماء البدن هكذا قال ، قلت وفي حديث المستحاضة حين قال لها رسول الله ﷺ «أنعت لك الكرسف» يعني أن تحثي بالقطن فقالت يارسول الله هو أكثر من ذلك إنما أتيج ثجاً ، وهذا فيه دلالة على استعمال الثج في الصب المتتابع الكثير ، والله أعلم . وقوله تعالى : ﴿لنخرج به حباً ونباتاً وجنات ألفافاً﴾ أي لنخرج بهذا الماء الكثير الطيب النافع المبارك ﴿حَبًّا﴾ يدخر للإناسي والأنعام ﴿وَنَبَاتًا﴾ أي خضراً يؤكل رطباً ﴿وَجَنَاتٍ﴾ أي بساتين وحدائق من ثمرات متنوعة وألوان مختلفة وطعوم وروائح متفاوتة وإن كان ذلك في بقعة واحدة من الأرض مجتمعاً ولهذا قال وجنات ألفافاً ، قال ابن عباس وغيره : ألفافاً مجتمعاً ، وهذه كقوله تعالى : ﴿وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ .

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنْفَعُ فِي الصُّورِ فَأَتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُجِّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ

أَنْجِيَالٌ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢٥﴾ لِلظَّالِمِينَ مَنَابًا ﴿٢٦﴾ لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٧﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٨﴾ إِلَّا الْحَمِيمَ وَعَسَاقِفًا ﴿٢٩﴾ جِرَاءَ وَفَاقًا ﴿٣٠﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٣١﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٣٢﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٣٣﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٤﴾

يقول تعالى مخبراً عن يوم الفصل وهو يوم القيامة أنه مؤقت بأجل معدود لا يزداد عليه ولا ينقص منه ولا يعلم وقته على التعيين إلا الله عز وجل كما قال تعالى : ﴿وما نؤخره إلا لأجل معدود﴾ ﴿يوم ينفع في الصور فتأتون أفواجا﴾ قال مجاهد : زمراً زمراً ، قال ابن جرير : يعني تأتي كل أمة مع رسولها ، وكقوله تعالى : ﴿يوم ندعو كل أناس بإمامهم﴾ وقال البخاري ﴿يوم ينفع في الصور فتأتون أفواجا﴾ حدثنا أبو محمد ، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «ما بين الفختين أربعون» قالوا : أربعون يوماً ؟ قال «أبيت» قالوا : أربعون سنة ؟ قال «أبيت» قال «ثم ينزل الله من السماء ماء فينبثون كما ينبت البقل ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظفاً واحداً وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة» .

﴿وفتحت السماء فكانت أبواباً﴾ أي طرقاً ومسالك لنزول الملائكة ﴿وسيرت الجبال فكانت سراباً﴾ كقوله تعالى : ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب﴾ وكقوله تعالى : ﴿وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾ وقال ههنا ﴿فكانت سراباً﴾ أي يخيل إلى الناظر أنها شيء وليست بشيء وبعد هذا تذهب بالكلية فلا عين ولا أثر ، كما قال تعالى : ﴿ويسألونك عن الجبال فقل ينفضها ربي نسفاً﴾ فيذرها قاعاً صفضاً * لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ، وقال تعالى : ﴿ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة﴾ وقوله تعالى : ﴿إن جهنم كانت مرصاداً﴾ أي مرصدة معدة ﴿لللطاغين﴾ وهم المردة العصاة المخالفون للرسول ﴿مأبأ﴾ أي مرجعاً ومنقلباً ومصيراً ونزلاً . وقال الحسن وقتادة في قوله تعالى : ﴿إن جهنم كانت مرصاداً﴾ يعني أنه لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز بالنار فإن كان معه جواز نجا وإلا احتبس ؛ وقال سفيان الثوري : عليها ثلاث قناطر .

وقوله تعالى : ﴿لا يبين فيها أحقاباً﴾ أي ماكتن فيها أحقاباً وهي جمع حقب وهو المدة من الزمان ، وقد اختلفوا في مقداره فقال ابن جرير عن ابن حميد عن مهران عن سفيان الثوري عن عمار الدهني عن سالم بن أبي الجعد قال : قال علي بن أبي طالب لهلal المهجري : ما تجدون الحقب في كتاب الله المنزل ؟ قال : نجده ثمانين سنة كل سنة اثنا عشر شهراً كل شهر ثلاثون يوماً كل يوم ألف سنة ، وهكذا روي عن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو وابن عباس وسعيد بن جبير وعمرو بن ميمون والحسن وقتادة والربيع بن أنس والضحاك ، وعن الحسن والسدي أيضاً سبعون سنة كذلك ، وعن عبد الله بن عمرو : الحقب أربعون سنة كل يوم منها كألف سنة مما تعدون ، رواها ابن أبي حاتم .

وقال بشر بن كعب : ذكر لي ان الحقب الواحد ثلاثمائة سنة ؛ اثنا عشر شهراً كل سنة ، ثلاثمائة وستون يوماً كل يوم منها كألف سنة ، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ، ثم قال ابن أبي حاتم : ذكر عن عمرو بن علي بن أبي بكر الأسعدي ، حدثنا مروان بن معاوية الفزاري عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة عن النبي ﷺ في قوله تعالى : ﴿لا يبين فيها أحقاباً﴾ قال : فالحقب شهر ، الشهر ثلاثون يوماً والسنة اثنا عشر شهراً ، والسنة ثلاثمائة وستون يوماً ، كل يوم منها ألف سنة مما تعدون ، فالحقب ثلاثون ألف ألف سنة ، وهذا حديث منكر جداً ، والقاسم هو الراوي عنه وهو جعفر بن الزبير كلاهما متروك . وقال البزار : حدثنا محمد بن مرداس ، حدثنا سليمان بن مسلم أبو العلاء قال : سألت سليمان التيمي : هل يخرج من النار أحد ؟ فقال : حدثني نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال : «والله لا يخرج من النار أحد حتى يمكث فيها أحقاباً» قال : والحقب بضع وثمانون سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً مما تعدون ، ثم قال : سليمان بن مسلم بصري مشهور ، وقال السدي ﴿لا يبين فيها أحقاباً﴾ سبعمائة حقب ، كل حقب سبعون سنة ، كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً ، كل يوم كألف سنة مما تعدون ، وقد قال مقاتل بن حيان : إن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى : ﴿فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً﴾ .

وقال خالد بن معدان : هذه الآية وقوله تعالى : ﴿إلا ما شاء ربك﴾ في أهل التوحيد رواها ابن جرير ثم قال : ويحتمل أن يكون قوله تعالى : ﴿لا يبين فيها أحقاباً﴾ متعلقاً بقوله تعالى : ﴿لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً﴾ ثم يحدث الله

لهم بعد ذلك عذاباً من شكل آخر ونوع آخر ثم قال : والصحيح أنها لا انقضاء لها كما قال قتادة والربيع بن أنس ، وقد قال قبل ذلك : حدثني محمد بن عبد الرحيم البرقي ، حدثنا عمرو بن أبي سلمة عن زهير عن سالم : سمعت الحسن يسأل عن قوله تعالى : ﴿لَا يَبِثْنَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ قال : أما الأحقاب فليس لها عدة إلا الخلود في النار ، ولكن ذكروا أن الحقب سبعون سنة كل يوم منها كآلف سنة مما تعدون ، وقال سعيد عن قتادة : قال الله تعالى : ﴿لَا يَبِثْنَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ وهو ما لا انقطاع له وكلما مضى حقب جاء حقب بعده . وقال الربيع بن أنس ﴿لَا يَبِثْنَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ لا يعلم عدة هذه الأحقاب إلا الله عز وجل ، وذكر لنا أن الحقب الواحد ثمانون سنة ، والسنة ثلاثمائة وستون يوماً ، وكل يوم كآلف سنة مما تعدون ، رواهما أيضاً ابن جرير .

وقوله تعالى : ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ أي لا يجدون في جهنم برداً لقلوبهم ولا شرباً طيباً يتغذون به ولهذا قال تعالى : ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا﴾ قال أبو العالية : استثنى من البرد الحميم ومن الشراب الغساق ، وكذا قال الربيع بن أنس ، فأما الحميم فهو الحار الذي قد انتهى حره وحموه والغساق هو ما اجتمع من صديد أهل النار وعرقهم ودموعهم وجروحهم فهو بارد لا يستطيع من برده ولا يواجه من نتته ، وقد قدمنا الكلام على الغساق في سورة ص بما أغنى عن إعادته - أجازنا الله من ذلك بمنه وكرمه - قال ابن جرير وقيل المراد بقوله ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ يعني النوم كما قال الكندي .

بردت مرآشفها علي فصدي عنها وعن قبلاتها البرد يعني بالبرد النعاس والنوم . هكذا ذكره ولم يعزه إلى أحد . وقد رواه ابن أبي حاتم من طريق السدي عن مرة الطيب ونقله عن مجاهد أيضاً . وحكاه البغوي عن أبي عبيدة والكسائي أيضاً . وقوله تعالى : ﴿جزاء وفاقاً﴾ أي هذا الذي صاروا إليه من هذه العقوبة وفق أعمالهم الفاسدة التي كانوا يعملونها في الدنيا ، قاله مجاهد وقاتة وغير واحد . ثم قال تعالى : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ أي لم يكونوا يعتقدون أن ثم داراً يجازون فيها ويحاسبون ﴿وكذبوا بآياتنا كذاباً﴾ وكانوا يكذبون بحجج الله ودلائله على خلقه التي أنزلها على رسله صلى الله عليه وسلم ، فيقابلونها بالكذب والمعاندة . وقوله ﴿كذاباً﴾ أي تكذياً ، وهو مصدر من غير الفعل ، قالوا : وقد سمع أعرابي يستفتي الفراء على المروة : الخلق أحب إليك أو القصار؟ وأنشد بعضهم :

لقد طال ماثبطني عن صحابي وعن حوج قصارها من شقائبي
وقوله تعالى : ﴿وكل شيء أحصيناه كتاباً﴾ أي وقد علمنا أعمال العباد كلهم وكتبناها عليهم وسنجيزهم على ذلك إن حيراً فخير وإن شراً فشر ، وقوله تعالى : ﴿فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً﴾ أي يقال لأهل النار : ذوقوا ما أنتم فيه فلن نزيدكم إلا عذاباً من جنسه وآخر من شكله أزواج ، قال قتادة عن أبي أيوب الأزدي عن عبد الله بن عمرو قال : لم ينزل على أهل النار آية أشد من هذه الآية ﴿فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً﴾ قال : فهم في مزيد من العذاب أبداً ، وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن محمد بن مصعب الصوري ، حدثنا خالد بن عبد الرحمن ، حدثنا جسر بن فرقد عن الحسن قال : سألت أبا برزة الأسلمي عن أشد آية في كتاب الله على أهل النار قال : سمعت رسول الله ﷺ قرأ ﴿فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً﴾ قال وأهلك القوم بمعاصيهم الله عز وجل جسر بن فرقد ضعيف الحديث بالكلية .

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٢٦﴾ حَذَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٢٨﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٢٩﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا ﴿٣٠﴾ جَزَاءً مِمَّن رَزَقَهُ عَطَاءً

حِسَابًا ﴿٣١﴾

يقول تعالى مخبراً عن السعداء وما أعد لهم تعالى من الكرامة والتعظيم فقال تعالى : ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ قال ابن عباس والضحاك : متنزهاً . وقال مجاهد وقاتة : فازوا فنجوا من النار . والأظهر ههنا قول ابن عباس لأنه قال بعده ﴿حذائِقَ﴾ والحذائق البساتين من النخيل وغيرها ﴿وأعناباً وكواعب أترباً﴾ أي وحوراً كواعب ، قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد ﴿كواعب﴾ أي نواهد ، يعنون أن تدين نواهد لم يتدلين لأنهن أبكار عرب أترب أي في سن واحد كما تقدم بيانه في سورة الواقعة . قال ابن أبي حاتم : حدثنا عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن الدمشقي ، حدثني أبي عن أبي سفيان عبد الرحمن بن عبد الله بن تيم ، حدثنا عطية بن سليمان أبو العيث عن أبي عبد الرحمن القاسم الدمشقي عن أبي أمامة أنه

سمعه يحدث عن النبي ﷺ أنه قال «إن قمص أهل الجنة لتبدو من رضوان الله وإن السحابة لتمر بهم فتناديهم يا أهل الجنة ماذا تريدون أن أمطركم؟ حتى إنها لتمطرهم الكواكب الأتراب» وقوله تعالى: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ قال ابن عباس: مملوءة ومتابعة. وقال عكرمة: صافية، وقال مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد ﴿دهاقًا﴾ الملقى المترعة، وقال مجاهد وسعيد بن جبير هي المتابعة. وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا﴾ كقوله ﴿لَا لَغْوَ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمُ﴾ أي ليس فيها كلام لاغ عار عن الفائدة ولا إثم كذب، بل هي دار السلام وكل ما فيها سالم من النقص وقوله ﴿جزاء من ربك عطاء حسابًا﴾ أي هذا الذي ذكرناه جزاؤهم الله به وأعطاهم بفضله ومنه وإحسانه ورحمته عطاء حساباً أي كافياً وافياً سالماً كثيراً، تقول العرب: أعطاني فأحسني أي كفاني ومنه حسبي الله أي الله كافي.

رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسَابِغَاتِ الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٧٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أُذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٧٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَثَابًا ﴿٧٩﴾ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿٨٠﴾

ينجز تعالى عن عظمتهم وجلاله وأنه رب السموات والأرض وما فيها وما بينهما وأنه الرحمن الذي شملت رحمته كل شيء، وقوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ أي لا يقدر أحد على ابتداء مخاطبته إلا بإذنه كقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ وكقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتُ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ اختلف المفسرون في المراد بالروح ههنا ما هو؟ على أقوال [أحدها] ما رواه العوفي عن ابن عباس أنهم أرواح بني آدم [الثاني] هم بنو آدم قاله الحسن وقتادة. وقال قتادة: هذا مما كان ابن عباس يكتمه [الثالث] أنهم خلق من خلق الله على صور بني آدم وليسوا بملائكة ولا بشر، وهم يأكلون ويشربون، قاله ابن عباس ومجاهد وأبو صالح والأعمش [الرابع] هو جبريل قاله الشعبي وسعيد بن جبير والضحاك، ويستشهد لهذا القول بقوله عز وجل ﴿تَنْزِيلُ مِنَ الرَّحْمَنِ الْأَمِينِ﴾ على قلبك لتكون من المنذرين ﴿وقال مقاتل بن حيان: الروح هو أشرف الملائكة وأقرب إلى الرب عز وجل وصاحب الوحي. [الخامس] أنه القرآن، قاله ابن زيد كقوله ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾ الآية. [والسادس] أنه ملك من الملائكة بقدر جميع المخلوقات، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ﴿يوم يقوم الروح﴾ قال: هو ملك عظيم من أعظم الملائكة خلقاً.

وقال ابن جرير: حدثني محمد بن خلف العسقلاني، حدثنا رواد بن الجراح عن أبي حمزة عن الشعبي عن علقمة عن ابن مسعود قال: الروح في السماء الرابعة هو أعظم من السموات ومن الجبال ومن الملائكة يسبح كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة، يخلق الله تعالى من كل تسبيحة ملكاً من الملائكة يجيء يوم القيامة صفاً وحده وهذا قول غريب جداً. وقد قال الطبراني: حدثنا محمد بن عبد الله بن عوسم المصري، حدثنا وهب بن روق بن هبيرة، حدثنا بشر بن بكر، حدثنا الأوزاعي، حدثني عطاء عن عبد الله بن عباس: سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن الله ملكاً لو قيل له التقم السموات السبع والأرضين بلقمة واحدة لفعل. تسبيحه سبحانه حيث كنت» وهذا حديث غريب جداً، وفي رفعه نظر، وقد يكون موقوفاً على ابن عباس، ويكون مما تلقاه من الإسرائيليات، والله أعلم. وتوقف ابن جرير فلم يقطع بواحد من هذه الأقوال كلها والأشبه عندي والله أعلم أنهم بنو آدم.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ كقوله ﴿يَوْمَ يَأْتُ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ وكما ثبت في الصحيح «ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل» وقوله تعالى: ﴿وقال صواباً﴾ أي حقاً ومن الحق لا إله إلا الله كما قاله أبو صالح وعكرمة، وقوله تعالى: ﴿ذلك اليوم الحق﴾ أي الكائن لا محالة ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً﴾ أي مرجعاً وطريقاً يهتدي إليه ومنهجاً يمر به عليه. وقوله تعالى: ﴿إنا أنذرتناكم عذاباً قريباً﴾ يعني يوم القيامة لتأكد وقوعه صار قريباً لأن كل ما هو آت آت ﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يده﴾ أي يعرض عليه جميع أعماله خيراً وشرها. قديمها وحديثها كقوله تعالى: ﴿ووجدوا ما عملوا حاضراً﴾ وكقوله تعالى: ﴿ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأختر﴾ ويقول الكافر ياليتني كنت تراباً ﴿أي يود الكافر يومئذ أنه كان في الدار الدنيا تراباً، ولم يكن خلق ولا خرج إلى الوجود، وذلك حين عاين عذاب الله ونظر إلى أعماله الفاسدة قد سطرت

عليه بأيدي الملائكة السفرة الكرام البررة ، وقيل إنما يود ذلك حين يحكم الله بين المخلوقات التي كانت في الدنيا فيفصل بينها بحكمه العدل الذي لا يجور ، حتى إنه ليقصص للشاة الجاهء من القرناء فإذا فرغ من الحكم بينها قال : كوني تراباً فتصير تراباً ذلك يقول الكافر ﴿يا ليتني كنت تراباً﴾ أي كنت حيواناً فأرجع إلى التراب ، وقد ورد معنى هذا حديث الصور المشهور ، وورد فيه آثار عن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو وغيرهما . آخر تفسير سورة النبأ . والله الحمد والمنة . وبه التوفيق والعصمة .

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّشِطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٥﴾ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٦﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٧﴾ أَبْصَرُهَا خَشَعَتِ ﴿٨﴾ يَقُولُونَ أَمْ نَأْمُرُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْخَافِرِينَ ﴿٩﴾ أَمْ دَاكُنَّا عِظْمًا مَنجُورًا ﴿١٠﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذْ كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١١﴾ فإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرِينَ ﴿١٣﴾

قال ابن مسعود وابن عباس ومسروق وسعيد بن جبير وأبو صالح وأبو الضحى والسدي ﴿والنازعات غرقاً﴾ الملائكة يعنون حين تنزع أرواح بني آدم ، فمنهم من تأخذ روحه بعسر فتغرق في نزعها ، ومنهم من تأخذ روحه بسهولة وكأنما حلته من نشاط وهو قوله ﴿والناشطات نشطاً﴾ قال ابن عباس ، وعن ابن عباس ﴿والنازعات﴾ هي أنفُس الكفار تنزع ثم تنشط ثم تغرق في النار رواه ابن أبي حاتم وقال مجاهد ﴿والنازعات غرقاً﴾ الموت ، وقال الحسن وقتادة ﴿والنازعات غرقاً﴾ والناشطات نشطاً هي النجوم ، وقال عطاء بن أبي رباح في قوله تعالى : ﴿والنازعات﴾ ﴿والناشطات﴾ هي القسي في القتال والصحيح الأول وعليه الأكثرون . وأما قوله تعالى : ﴿والسابحات سبحاً﴾ فقال ابن مسعود : هي الملائكة ؛ وروى عن علي ومجاهد وسعيد بن جبير وأبي صالح مثل ذلك ، وعن مجاهد ﴿والسابحات سبحاً﴾ الموت ، وقال قتادة : هي النجوم ، وقال عطاء بن أبي رباح : هي السفن .

وقوله تعالى : ﴿فالسابحات سبحاً﴾ روي عن علي ومسروق ومجاهد وأبي صالح والحسن البصري يعني الملائكة ، قال الحسن : سبقته إلى الإيمان والتصديق وعن مجاهد : الموت . وقال قتادة : هي النجوم ، وقال عطاء : هي الخيل في سبيل الله . وقوله تعالى : ﴿فالمُدبِرَاتِ أَمْرًا﴾ قال علي ومجاهد وعطاء وأبو صالح والحسن وقتادة والربيع بن أنس والسدي : هي الملائكة ، زاد الحسن : تدبر الأمر من السماء إلى الأرض يعني بأمر ربه عز وجل ، ولم يختلفوا في هذا ولم يقطع ابن جرير بالمراد في شيء من ذلك ، إلا أنه حكى في المدبرَاتِ أَمْرًا أنها الملائكة ولا أثبت ولا نفي . وقوله تعالى : ﴿يوم تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ قال ابن عباس : هما النضختان الأولى والثانية ، وهكذا قال مجاهد والحسن وقتادة والضحاك وغير واحد ، وعن مجاهد : أما الأولى وهي قوله جل وعلا ﴿يوم تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ فكقوله جلت عظمته ﴿يوم تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ والثانية وهي الرادفة فهي كقوله ﴿وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة﴾ وقد قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن أبي الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ «جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه» فقال رجل : يا رسول الله أرأيت إن جعلت صلاتي كلها عليك ، قال : «إذا يكفيك الله ما أهمك من دنياك وآخرتك» وقد روى الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم من حديث سفيان الثوري بإسناده مثله ، ولفظ الترمذي وابن أبي حاتم كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال : «يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه» .